من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو ثبتم على التولي والإعراض عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقين
الله ولا فائتين أخذه وعذابه فإن قلت مم استثني قوله إلا الذين عاهدتم قلت وجهه أن يكون مستثنى من قوله
فسيحوا في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم
سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فأتموا إليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين
ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر إن الله يحب المتقين
يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا منكم أحدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو
بن سالم الخزاعي على رسول الله فأنشد: لاهم إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيك الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا
فقال لا نصرت إن لم أنصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد المعجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فأتموا إليهم فأدوا إليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي
من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم إليهم عهدهم فإذا انسلخ الأشهر كقوله انجرد الشهر وسنة جرداء والأشهر الحرم التي أبيح
فيها للناكثين أن يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل أو حرم
وخذوهم وأسروهم والأخيذ الأسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس
حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن
لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل
لمن يبني المنار به وعن ابن عباس دعوهم وإتيان المسجد الحرام إن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف من الكفر
والغدر وإن أحد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن
إن من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه
ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره
ويطلع على حقيقة الأمر ثم أبلغه مأمنه بعد ذلك دار قومه التي يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا
الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين إلى علي رضي الله عنه
فقال إن أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لأن الله يقول
وإن أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك أي ذلك الأمر بالإجارة
في قوله فأجره بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا
الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند الله ورسوله وهم أضداد وغرة صدورهم يعني
محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله إلا الذين
عاهدتم أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم
فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله إن الله يحب المتقين يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين كيف تكرار
لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال: وخبرتماني أنما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب، يريد فكيف مات أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم
من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد
لحسان: لعمرك إن إلك من قريش ... كإل السقب من رأل النعام، وقيل إلا إلها وقرئ إيلا بمعناه وقيل جبريل وقيل الإل

من ذلك

من ذلك وقيل منه اشتق الآل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا
رفعوا به أصواتهم وشهروه من الأل ~~بمعنى الحلف لأنهم إذا تقاعدوا~~ وهو الجؤار وله أليل أي أنين يرفع به صوته ودعت ألت إذا ولولت
ثم قيل لكل عهد وميثاق إل وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ في
وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتأبى قلوبهم مخالفة ما فيها من الأضغان
لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل وأكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة لهم تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد
ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء اشتروا استبدلوا
بآيات الله بالقرآن والإسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الأهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم
وقيل هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فإن تابوا عن
الكفر ونقض العهد فإخوانكم فهم إخوانكم على حذف المبتدأ كقوله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم ونفصل الآيات ونبينها
وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى
المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوا فقاتلوا أئمة الكفر فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم إشعارا
بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادة الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة فصاروا إخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود
وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر
غبارهم وقالوا إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد
نكث عهده وخرج من الذمة إنهم لا أيمان لهم جمع يمين وقرئ لا إيمان لهم أي لا إسلام لهم أو لا يعطون الأمان بعد
الردة والنكث ولا سبيل إليه فإن قلت كيف أثبت لهم الأيمان في قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم قلت
أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن
يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث لعلهم
ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم من العظائم أن تكون المقاتلة سببا
في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فإن قلت كيف لفظ أئمة قلت
همزة بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وأما لفظ الياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف ألا تقاتلون
دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها
في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم
بدؤكم أول مرة أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به
فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن
تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في
مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا يترك مصادمته وأن يوبخ من فرط
فيها أتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين
يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله ولما وبخهم الله
على ترك القتال جرد لهم الأمر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم بأنه يعذبهم بأيديكم قتلا ويخزهم أسرا
وينصركم عليهم ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة وقال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا
مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله يشكون إليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1